دراسات

العلاقات الدبلوماسية بين امارة الموصل ومملكة جورجيا في العصر الزنكي

الأستاذ الدكتور
فتحي سالم حميدي اللهيبي

Received :15 / 1 / 2025
Revised: 25 / 1 / 2025
Accepted: 26 / 1 / 2025
Published: 1 / 2 / 2025

أ.د فتحي سالم حميدي اللهيبي
كلية التربية الأساسية - قسم التاريخ
جامعة الموصل - العراق
fathe.salim@uomosul.edu.iq

العلاقات الدبلوماسية بين امارة الموصل ومملكة جورجيا في العصر الزنكي

Relations between the Emirate of Al- Mosul and the Kingdom of Georgia in the Zengid era.

الملخص

يعد العصـــر الزنكي من العصـــور المهمة التي عاشـــتها إمارة الموصـــل ، فقد اهتم الزنكيون ووزرائهم في إقامة علاقات خارجية حســـنة مع القوى المعاصـــرة لحماية الأراضـــي الإســـلامية، وضـــمان عدم الاعتداء عليها من قبل القوى المعادية لاســـيما المســـيحية منها، فكانت مملكة جورجيا الواقعة في الجزء الغربي من آســـيا ، وفي بلاد القوقاز تحديداً، عنـــد الحد الفاصل بين غربي آسيا وشرقي أوربا إحدى تلك القوى التي عملت على ضرب المسلمين على أطراف الدولة.

لقد كان الوزير جمال الدين الأصفهاني (٥٢١-٥٥٩هـ/١١٢٧-١١٦٣م) الملقب بالجواد هو الشخص المتنفذ في جميع مفاصل الحكم في إمارة الموصل بعد مقتل عماد الدين زنكي في سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م وانقسام دولته بين ولديه سيف الدين غازي ونور الدين محمود، فنجح الوزير جمال الدين في تســـوية النزاع بين الأشـــقاء، وبذلك حافظ على اســـتقرار الأوضـــاع في كل من الموصـــل وبلاد الشـــام، ولاســـيما أنها كانت مهددة ومحاطة بالأخطار الخارجية والتهديدات الصـــليبية آنذاك، ولم يقتصـــر دور الوزير جمال الدين على ذلك بل تعداه إلى إقامة علاقات ودية مع مملكة جورجيا على الرغم من بعد المســـافة التي تفصـــل بينهما، وذلك من خلال الوفود والســـفارات الدبلوماســـية

المتبادلة بين الطرفين، والتي تناولها البحث، وذلك من اجل إبراز الدور الكبير الذي أدته إمارة الموصل على مستوى السياسية الخارجية، فضلا عن الدبلوماسية والحنكة السياسية التي امتاز بها اداريوها في تلك الحقبة كالوزير جمال الدين الأصفهاني، مما مكنهم من بناء علاقات ودية مع مختلف القوى السياسية آنذاك.

Abstract

The Zengid era is considered one of the important eras that the Emirate of Mosul lived through. The Zengid and their ministers were interested in establishing good external relations with contemporary powers to protect Islamic lands and ensure that they were not attacked by hostile forces, especially Christian ones. The Kingdom of Georgia was located in the western part of Asia, and in The Caucasus country in particular, at the border between Western Asia and Eastern Europe, is one of those forces that worked to attack Muslims on the outskirts of the state.

Minister Jamal al-Din al-Isfahani (521-559 AH/1127-1163 AD), nicknamed al-Jawad, was the influential person in all aspects of government in the Emirate of Mosul after the killing of Imad al-Din Zengi in the year 541 AH/1146 AD and the division of his state between his two sons, Saif al-Din Ghazi and Nur al-Din Mahmoud, so the minister succeeded. Jamal al-Din helped settle the fratricidal conflict, thus maintaining the stability of the situation in both Mosul and Bilad The Levant, especially since it was threatened and surrounded by external dangers and threats Crusader at that time The role of Minister Jamal al-Din was not limited to that, but rather he went beyond establishing friendly relations with the Kingdom of Georgia despite the distance separating them.

This is to highlight the great role that the Emirate of Mosul played at the level of foreign policy, as well as the diplomatic and political acumen that distinguished its administrators in that era, such as

Minister Jamal al-Din al-Isfahani, who enabled them to build friendly relations with various political forces at that time.

تعد مدينة الموصل من الحواضر العربية المهمة ، وإحدى القواعد العسكرية الرئيسة للدولة العربية الإسلامية ، وقد أدّت دوراً كبيراً على مسرح الأحداث السياسية والاقتصادية على حدٍ سواء وعلى مر العصور التأريخية المختلفة ، وفي حقبة العصور الوسطى بشكل خاص ، ولاسيما العصر الزنكي ، ويرجع ذلك لما لها من تاريخ عريق وموقع جغرافي مهم ، وهذا ما أكّدهُ المؤرخون العرب المسلمون في رواياتهم التي أوردوها عن المدينة ، وأهمية موقعها الجغرافي الذي يربط بين العراق وبلاد الشام والجزيرة[١] ، إذ لم تكن بمعزل عن الظروف السياسية التي سادت المنطقة آنذاك ، خاصةً مع بدايات ازدياد الخطر الصليبي على بلاد الشام الذي هدد الأمة بأسرها ، وسعى لاستنزاف خيراتها وتدنيس مقدساتها وطمس هويتها العربية ، لذا فقد بلغت مدينة الموصل أوج قوتها في العصر الزنكي ، عندما أصبحت اتابكية[٢] ذات كيان سياسي مستقل ، ابتداءً بتولي عماد الدين زنكي (٥٢١-٥٤١هـ/١١٢٧-١١٤٦) مؤسس الأسرة الزنكية .

يعد عماد الدين زنكي المؤسس الأول للإمارة الزنكية في الموصل ، وكان والده آق سنقر أحد المماليك الأتراك التابعيين للسلطان السلجوقي ألب ارسلان وولده ملكشاه من بعده ، وكان أحد أمراءه البارزين[٣] ، إلا أنه قتل في احد معاركه مع السلطان تتش سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ، وحرم ولده عماد الدين زنكي من أملاكه ، فألتف حوله اتباع والده

وأسندت إليه شحنكية البصرة في سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م [٤] ، ثم تولى شحنكية العراق سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م ، فنجح في اخضاع القوى المحلية ، ثم عين في سنة ٥٢٣هـ/١١٢٨م من قبل السلطان السلجوقي اميراً على الموصل وبلاد الشام والجزيرة [٥] ، واتخذ من الموصل عاصمة ومقراً لامارته ، وقادها بنجاح قرابة العشرين سنة ، سواء عن طريق تحقيق التماسك والاستقرار الداخلي[٦] ، أم عن طريق التصدي

للأخطار الخارجية المحدقة بالمدينة والأمة معاً ، فقد جاهد ضد الغزاة الصليبيين لاسيما بعد أن أصبحت مناطق نفوذه تمتد ما بين آمد وديار وحدود أذربيجان شمالاً وحتى تكريت جنوباً ، وما بين منطقة شهر زور شرقاً وحتى السواحل الشامية غرباً ، مما دفع الأمراء المجاورين إلى مهادنته واتباع سياسة الحذر معه خشية بأسه(٧).

بعد مقتل عماد الدين زنكي في سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م انقسمت دولته بين ولديه سيف الدين غازي ونور الدين محمود ، مما زاد في أطماع كل من السلطان السلجوقي والأمراء المجاورين وسعوا جاهدين من اجل الاستيلاء على ممتلكاته ، وكان الشخص المتنفذ في جميع أمور الدولة آنذاك وزيره جمال الدين الأصفهاني (٥٢١ـ٥٥٩هـ/١١٢٧ـ١١٦٣م) (٨) ، المعروف بـ (**الجواد**) (٩)، والأمير الحاجب صلاح الدين الياغستاني (١٠) ، وعلى الرغم من الخلافات الشخصية بين الطرفين ، إلا انهما نجحا في تثبيت أركان الدولة الزنكية والحفاظ على ممتلكاتها ، وقاموا بتوليت الأمير سيف الدين غازي (٥٤١ـ٥٤٤هـ/١١٤٦ـ١١٤٩م) آبن عماد الدين زنكي في سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م ، بعد أن أزالا كل أسباب الخلاف والبغضاء فيما بينهما ، واصبح الوزير جمال الدين الأصفهاني الرجل الأول في الدولة بعد الأمير سيف الدين غازي ، إلا انه شعر بخطر الأمير سيف الدين الذي بدا يهدده في أيامه الأخيرة ، فخشي جمال الدين من بطشه ، وسعى من اجل التخلص منه ، إلا أن مرض الأمير سيف الدين ووفاته في سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م أنقذت الوزير جمال الدين من سطوته (١١).

لقد ظل المتحكمون بدولة الأمير سيف الدين غازي بعد وفاته ، كل من الوزير جمال الدين الأصفهاني والأمير زين الدين علي كوجك(١٢) صاحب اربل ومقدم الجيش عز الدين الدبيسي (١٣)، فاتفقت كلمتهم على توليت الأمير قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي (٥٤٤ـ٥٦٥هـ/١١٤٦ـ ١١٦٩م) فاستبد جمال الدين الأصفهاني في أمور الدولة (١٤)، كما أدّت دوراً كبيراً في إنهاء النزاع الذي نشب بين كل من الأمير قطب الدين مودود وأخيه الأمير نور الدين محمود (٥٤١ـ٥٦٩هـ/١١٤٦ـ ١١٧٣) صاحب حلب ، حول تبعية مدينة سنجار، التي استولى عليها الأمير نور

الدين محمود في سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م [١٥]، فنجح الوزير جمال الدين في المحافظة على استقرار الأوضاع في كل من الموصل وبلاد الشام، ولاسيما أنها كانت مهددة ومحاطة بالأخطار الخارجية والتهديدات الصليبية [١٦]، من خلال إقناع الأمير نور الدين محمود باستبدال مدينة حمص بمدينة سنجار، فأصبحت الأولى من نصيب الأمير نور الدين والثانية من نصيب شقيقة الأمير قطب الدين، ومما يدل على كفاءة الوزير جمال الدين الأصفهاني وحنكته السياسية ، ما قام به نور الدين من محاولات من اجل كسبه إلى جانبه، من خلال عرضه عليه مسألة البقاء في خدمته ، وعندما انتهت مرحلة النزاع بينه وبين أخيه قطب الدين أمير الموصل، رفض الوزير جمال الدين ذلك العرض بطريقة مهذبة وبذكاء عالي، قائلاً للأمير نور الدين محمود : ((**إن عدوك كافر [يقصد الصليبيين] فالناس يدفعونه ديانة، أما عدو أخيك مسلمون يحتاجون من يقوم بدفعهم ، فان كنت عند أخيك فالنفع عائد إليك**))[١٧].

كما طلب من الأمير نور الدين محمود أن يدفع مبلغ عشرة آلاف دينار سنوياً يتسلمها نائبه، وكان الوزير جمال الدين يستخدم هذه الأموال في دعم حركات الجهاد الإسلامي ضد الصليبين في بلاد الشام ، فضلاً عن قيامه بافتداء الأسرى المسلمين من أيدي الصليبين ويطلق سراحهم ، إذ اشتهر في هذا الجانب [١٨] .

وعلى ما يبدو أن الدافع الذي كان يقف وراء بذله للأموال الكثيرة في سبيل إطلاق سراح الأسرى المسلمين، أينما كانوا سواء في الأسر الصليبي في بلاد الشام، أم في جبهات أخرى من الأراضي الإسلامية ، هو تحقيق هدفين الأول ابتغاء مرضاة الله والثاني من اجل تقوية نفوذه والاستفادة منهم لقتال الغزاة الصليبيين، إذ أن مثل هذا الأجراء يشجع المسلمين ويقوي عزيمتهم على الاشتراك في حركة الجهاد التي نشطت انذاك بشكل كبير. كما اشتهر الوزير جمال الدين بتشجيعه للجانب العلمي في مدينة الموصل ، من خلال اتخاذه لعدة إجراءات كبناء المدارس ودور العلم ، فضلاً عن الأنفاق على المعلمين والطلاب الدارسين فيها ، كما انه بنى العديد من البيمارستانات [**المستشفيات**] والمساجد في أماكن مختلفة من بلاد الإسلام [١٩] ونظراً لتلك الصفات

الحميدة والخصـــال التي تميز بها عن غيره من الوزراء والامراء ، فقد سـمي بالجواد [٢٠] ، كما أشرنا في بداية الحديث .

لم يهتم الوزير الموصلي جمال الدين الأصفهاني في جبهة من جبهات الإسلام على حدود الدولة العربية الإســـلامية من دون الأخرى، وكما وجهة جل اهتمامه لمواجهة الغزو الصليبي في بلاد الشام، فقد اهتم في الوقت ذاتـــه في الجبهة الشـــمالية المتمثلة بآســـيا الصـــغرى وبلاد القوقاز، إذ نشـــطت فيها بعض الممالك والإمارات المسيحية الصغيرة المعادية للدولة العربية الإسلامية، فعملت تلك الممالك على ضرب المســـلمين على اطراف الدولة، وتزعمتها مملكة أرمينية الصـــغرى [٢١] في آســـيا الصـــغرى، ومملكة جورجيا الواقعة في الجزء الغربي من آســـيا، وفي بلاد القوقاز تحديداً، عند الحد الفاصل بين غربي آسيا وشرقي أوربا[٢٢].

لذا فهـي تقع في الجهة المقابلة لأوربـا وتشمل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز[٢٣]، وتتمتع بحدود طبيعية ـــ جبلية ـــ من الجهة الشمالية والجنوبية ، في حين تطل على البحر الأســـود من جهتها الغربية ، وتمتاز حدودها الشـــرقية بأنها حدود مفتوحة، ومنها تعرضـــت للغزوات الخارجية عبر التاريخ[٢٤]، أما موقعها في الوقت الحاضـــر فيحدها كل من تركيا وأرمينيا الســـوفيتية من الجهة الجنوبية[٢٥]، وأذربيجان من الجهة الشـــرقية والجنوبية الشـــرقية ، أما جهتها الشـــمالية الشـــرقية فيحدها كل من الداغســـتان والشـــيشـــان ، بينما تشـــترك حدودها الشـــمالية مع كل من بلغاريا واوســـتيا الشمالية وبلاد الشركس ، وتطل على البحر الأسود من جهتها الغربية[٢٦].

وتعد المنطقة التي تقع فيها مملكة جورجيا من المناطق التي شـــغلت الدولة العربية الإسـلامية كثيراً ، بسـبب ما خلقته مـــــن متاعب ومصـاعب ، نتيجة اختلاف الأجناس والأديان فيها ، وخاصةً بعد أن بدأت تستقل عن الخلافة العباسية تحت حكم الأسرة البقراطية الإقطاعية القديمة ، وهي ذات الأصل الأرميني وفرع من الأســـــرة البقـــراطيـــة الحاكمـــة في مملكة أرمينيـــا الكبرى ، فتمادى أمرائها في الإغـــارة على الأراضي الإسلامية المجـــاورة [٢٧]، وقـــد أدى اســـتفحال أمرهم إلى الاعتراف بهم

كمملكة مستقلة في سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م من قبل الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية [٢٨].

لم تعد مملكة جورجيا خاضعة للعباسيين إلا بشكل اسمي ، فكانت منذ البداية متذبذبة الولاء بين العباسيين والبيزنطيين ، وحسب ما تقتضيه مصلحتها الخاصة ، وما تتطلبه أوضاعها السياسية ، فقد سعى الأباطرة البيزنطيون من اجل وضع أيديهم على كل من مملكتي جورجيا وأرمينيا الكبرى وما جاورهما من بلاد القوقاز ، إذ انهم عدوها بمثابة القنطرة أو الجسر الذي يربط ما بين الشرق والغرب[٢٩] .

ونظراً لموقع مملكة جورجيا المتميز من ناحية ، واستقرارها داخلياً وخارجياً من ناحية أخرى ، فقد ازداد دورها في العصور العباسية المتأخرة ، حيث شهدت فيها الدولة العربية الإسلامية تغيرات سياسية وحضارية وبشرية ، اثر الغزو الصليبي لأراضيها ، وأذ ما أمعنا النظر جيداً في تأريخ مملكة جورجيا المعادي للمسلمين في بلاد القوقاز ، وما أدتّه من دور مهم على مسرح الاحداث آنذاك من خلال البحث الدقيق في علاقاتها السياسية مع القوى المجاورة وغير المجاورة الإسلامية منها وغير الإسلامية ، فإننا نلحظ وبشكل جلي الدور الهام الذي أدتّه كجسر بين الشرق والغرب لوقوعها في منطقة التخوم ، كما أن موقعها الستراتيجي أدى بطبيعة الحال إلى نشوء علاقات متباينة مع قوى مختلفة ، يسودها الهدوء تارةً والصراع تارةً أخرى ، فضلاً عن محاولاتها التآمرية مع القوى المعادية للدولة العربية الإسلامية كالصليبيين ، فأخذت بشن الغارات المتتالية على الأراضي الإسلامية المجاورة لها ، والقيام بعمليات التدمير وقتل الرجال والشيوخ وسبي الأطفال والنساء [٣٠]، فضلاً عن ممارسة مختلف أنواع عمليات السلب والنهب [٣١].

لقد أرسل الوزير جمال الدين الاصفهاني الوفود والسفارات إلى جورج الثالث (٥٤٩ ـــ ٥٨٠هـ/١١٥٤ ـــ ١١٨٤م) ملك جورجيا [٣٢]، من اجل افتداء الأسرى المسلمين الذين وقعوا في اسر القوات الجورجية أثناء بين الجانبين او من جراء الغارات العدوانية التي شنتها على المناطق الاسلامية المجاورة [٣٣] .

في الحقيقة ليس لدينا الكثير من المعلومات عن تلك الوفود والسفارات التي أرسلها الوزير جمال الدين إلى مملكة جورجيا ، سوى ورود إشارة واحدة تدلل على وجود سفارتين بين كل من إمارة الموصل ومملكة جورجيا ، ارسلهما جمال الدين وزير قطب الدين مودود زنكي أمير الموصل ، واللتان يمكننا من خلالهما إثبات أمران مهمان وهما :

الأول : المكانة السياسية الكبيرة التي حققتها إمارة الموصل في العصر الزنكي مقارنة بمستوى القوى الإسلامية آنذاك .

ثانياً : ووجود علاقات دبلوماسية ودية بين إمارة الموصل وهذه المملكة على الرغم من بعد المسافة بينهما ووجود قوى سياسية تفصل فيما بينهما ، وستمثل هاتين السفارتين المحور الأساس لموضوع بحثنا .

أنفذ الوزير جمال الدين السفارة الأولى إلى مملكة جورجيا في مستهل سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م ، عندما أوفد سفيراً إلى الملك جورج الثالث ، ليلتمس منه الموافقة على قيام الوزير جمال الدين في بناء بيمارستان [مستشفى] في العاصمة الجورجية تفليس [٣٤] ، من اجل خدمة المسلمين المقيمين فيها وتقديم العلاج والعناية بالمرضى والضعفاء منهم ، فأستقبل الملك جورج الثالث تلك السفارة ببالغ الإجلال والتقدير ، واظهر لها كل مظاهر الاحترام والإكرام ، ورد على الوزير جمال الدين بالشكر على ما أبداه من نوايا حسنة واهتمام بالمسلمين ممن هم ضمن نطاق مملكته ، واخبر السفير الموصلي بأنه سيقوم ببناء ذلك البيمارستان على نفقته الخاصة[٣٥].

والذي يمكن ملاحظته بشكل جلي ، وما ستثبته الأحداث فيما بعد الدور الكبير الذي أدّته هذه السفارة في إقامة علاقات ودية بين إمارة الموصل ومملكة جورجيا ، إذ ان مبادرة الوزير جمال الدين أعربت عن حسن النية تجاه مملكة جورجيا ، مما زاد ذلك في احترام وتقدير الملك جورج الثالث لشخص الوزير جمال الدين وجهوده الطيبة ، فبادر هو ببناء البيمارستان من ماله الخاص .

أما فيما يتعلق بالسفارة الثانية ، فقد أرسلها الوزير جمال الدين في سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م ، إثر المعركة التي وقعت في شهر رجب سنة ٥٥٧هـ/تموز ١١٦١م بين القوات الجورجية بقيادة الملك جورج الثالث وبين القوات الإسلامية التي جمعت من شتى الأقاليم التابعة للسلاجقة والاراتقة ، بقيادة شاه أرمن إبراهيم بن سكمان صاحب خلاط[٣٦] وانضمت إليه قوات صاحب أرزن الروم[٣٧] الأمير عز الدين صلتق عم السلطان السلجوقي

قلج أرسلان وقوات دولت شاه صاحب ارزن [٣٨] السلجوقي وصاحب سرماري [٣٩] ، وتوجهوا نحو حوض نهر آراكس[٤٠] ، وانضم الأمير نجم الدين تمرتاش الارتقي ، وفي شهر شعبان من السنة ذاتها ، وصلوا إلى مدينة آني[٤١] العاصمة التاريخية لمملكة أرمينيا الكبرى ، وفرضوا عليها حصاراً شديداً حتى ضيقوا عليها الخناق ، فخرج الملك جورج الثالث بقوات عسكرية ضخمة من اجل التصدي لهم ، ونجح في إلحاق الهزيمة بهم على مشارف المدينة [٤٢] .

لقد كان السبب وراء اخفاق القوات السلجوقية والارتقية وخسارتها أمام الجورجيون ، على الرغم من كثرة عددها وعدتها ، هو عدم تماسك الأمراء وتوحدهم من اجل الاستمرار في عملية الحصار ومقاتلة القوات الجورجية ، وخير دليل على ذلك انسحاب الأمير عز الدين صلتق صاحب ارزن الروم بقواته بمجرد وصول الملك جورج الثالث[٤٣] إلى ارض المعركة وقبيل وقوعها ، خشيةً من الوقوع أسيراً بيده مرة ثانية فيقتله[٤٤] ، لإخلاله بالعهد الذي قطعه على نفسه للملك الجورجي ، مقابل إطلاق سراحه في المرة السابقة[٤٥] ، مما أدى إلى خسارة المسلمين ، ووقوع خسائر بشرية ومادية فادحة في صفوفهم بين أسير وشهيد ، وبضمنهم عدد من الأمراء اللذين وقعوا في اسر الملك الجورجي[٤٦].

إثر هذه الحادثة المؤلمة والخسارة التي مني بها المسلمين ، فكر الوزير جمال الدين الأصفهاني في أمر افتداء الأسرى المسلمين من الامراء والعامة ، فأرسل سفيراً إلى جورج الثالث ملك جورجيا يناشده السلام ، ويلتمس منه إطلاق سراح الأمراء

المسلمين الذين اسروا في تلك المعركة ، ومما شجعه على الإقدام على مثل هذا العمل وارسـاله سـفارة دبلوماسـية ، ما كان يربطه بالملك جورج الثالث من علاقات ودية واحترام متبادل ، وما لمسه من تقدير واكرام للسفارة التي أرسلها إليه في المرة السابقة ، وقد تم للوزير جمال الدين ما أراده بالفعل وأطلق الملك جورج الثالث سراح الأمراء الأسرى احتراماً وتقديراً له(٤٧) .

لم يكتف الوزير جمال الدين باطلاق سـراح الامراء فارسـل مبلغاً من المال قدره ألف دينار ، كفدية مقابل اطلاق سـراح الأسـرى من عامة المسـلمين ، الذين لا يملكون أموالا يفتدون بها أنفسـهم ، وليس لديهم أهل يدفعون فديتهم ، وبذلك يكون قد دفع فديـة عدد كبيرة من أهل الحجاز ، الذين اسـروا في تلك المعركة (٤٨)، فضـلاً اطلاق الملك جورج الثالث لعدد من الاسـرى من دون مقابل ، وذلك ارضـاءاً للوزير جمال الدين وتقديراً له على حسـن نيته ، وهذا ما اوردته بعض المراجع ((**وتم اطلاق الكثير من الأسرى المسلمين بدون مقابل**)) (٤٩) .

كما أشار المؤرخ السـرياني ابن العبري في كتابه تاريخ الزمان إلى أن جورج الثالث ملك جورجيا أطلق سـراح الكثيرين من الأسـرى المسلمين دون أي مقابل ، وكان ذلك احتراماً وتبجيلاً للوزير الموصـلي جمال الدين الأصـفهاني ، الذي اشـتهر بعطفه وحسـناته الوافـرة ونواياه الجيدة تجاه مملكة جورجيا (٥٠)، كما أكّد المؤرخ الروسي فلاديمير مينورسكي على وجود هذه السفارة من خلال إشـارته إلى وجـود نسـخة مسـيحية للمفاوضـات التي تمت بين الطرفين من أجل اطلاق سـراح الاسـرى ، ونصـها : ((**وقد اختـار الرجل الطيب المعروف بعطفه جمال الدين ، كبير طائفة اليعاقبة المسيحيين ويدعى المفريـان اكناتيوس ، كسفير إلى الملك الجورجي ، وقد اسـتقبل بحفاوة وترحيب ، وتم اطلاق الكثير من الأسـرى المسـلمين بدون مقابل**))(٥١).

إن اختيار الوزير جمال الدين بحد ذاته لشـخص مسـيحي بل ورئيس طائفة دينية نصـرانية ، ومن أبناء دين الملك جورج الثالث كسفير يرسله إلى مملكة جورجيا

للقيام بالتفاوض مع ملكها حول مسألة إطلاق سراح الأسرى المسلمين ، إن دل على شئ فإنما يدل على العقلية الدبلوماسية والذكاء اللذان يمتلكهما الوزير جمال الدين من ناحية ، كما انه أراد في الوقت ذاته إيجاد روابط الألفة والتماسك بين أبناء البلد الواحد مهما اختلفت أديانهم ومذاهبهم وأعراقهم من ناحية اخرى ، فقد أنعشت هذه السفارة النصارى في مدينة الموصل ، وأفرحت المسلمين بعودة أبناءهم الأسرى .

ورداً على تلك السفارة ، وما تم خلالها من مفاوضات طيبة أرضت الجانبين ، وقامت بينهما علاقات صداقة جيدة أرسل الملك جورج الثالث الهدايا إلى الوزير جمال الدين في الموصل كتعبير عن اعتزازه بهذه الصداقة بل والأكثر من ذلك ، أرسل الملك جورج الثالث رسوله الخاص لاصطحاب السفير الموصلي اكناتيوس في طريق عودته إلى بلاده ، ودخل السفير الموصلي ومرافقة الجورجي إلى مدينة الموصل ، والصلبان معلقة على رؤوس رماحهم (٥٢)، ومعهم مجموعة من الجنود الجورجيين المرافقين لهما ، فاستقبل الوزير جمال الدين رسول الملك جورج الثالث ، الذي نقل إليه تحيات وإجلال الملك له ، فأمر الوزير جمال الدين باكرام السفير الجورجي ، واظهر له كل مظاهر الاحترام طوال مدة إقامته في مدينة الموصل ، كما استفاد المفريان اكناتيوس من هذه الفرصة بعد أن نجح في أداء مهمته على اكمل وجه ، فطلب الاذن من الوزير جمال الدين ببناء مصلى في قرية برطلي الواقعة بالقرب من مدينة الموصل فوافق جمال الدين على ذلك (٥٣).

ومن الواضح ان ما قامت به امارة الموصل من دور كبير على مسرح السياسية الداخلية والخارجية ، قد عزز من مكانتها بين الاتابكيات والامارات الاخرى ، فبلغت مدينة الموصل ذروتها في العصر الزنكي ، وخاصةً في أثناء خدمة الوزير جمال الدين الأصفهاني الذي نجح في إقامة علاقات ودية مع العديد من القوى الإسلامية وغير الإسلامية والقوى المجاورة وغير المجاورة ، فكانت هذه السفارات دليلاً واضحاً على مدى ما حققته إمارة الموصل من مكانة مرموقة ، واستمرت عليها طوال العصر الزنكي .

المراجع

(١) احمد بن محمد الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان (ليدن : ١٨٨٥م) ، ص ٣٦ ؛ شمس الدين محمد الانصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (لايبزك : ١٩٢٨م) ، ص ١٩٠ .

(٢)الاتابكيات : ظهر نظام الاتابكيات في العصر السلجوقي ، وخاصةً بعد انقضاء فترة السلاطين الاقوياء ، ومجئ سلاطين ضعاف ، ونشوء الصراعلت على السلطنة ، مما ادى الى انقسام الممتلكات السلجوقية بين ابناء البيت الحاكم ، فكان يمنح كل امير اقطاع بالرغم من صغر سنه ، ويعين احد قواد الجيش السلجوقي للاشراف على تربيته ، وادارة اقطاعاته ، ويطلق على هذا القائد لقب اتابك ومعناها الامير الوالد ، واصبح هؤلاء الاتابكة اصحاب نفوذ فعلي يغلب على نفوذ الامراء السلاجقة في كثير من الاحيان ينظر : أبو العباس احمد بن علي القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا (بيروت :١٩٨٧م) : ٦/ ٣ ؛ حسن الباشا ، الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار ، (القاهرة : ١٩٥٧م) ، ص١٢٢ـ ١٢٣ .

(٣) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بابي شامة ، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق : حلمي احمد (القاهرة : ١٩٥٦م) : ١/٦٥-٦٦ ؛ جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة : ١٩٥٧م) :١/١١ .

(٤) عصام عبد الرؤوف ، بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي(القاهرة : ١٩٧٦م) ، ص١٦ .

(٥) عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي (الموصل : ١٩٨٥م) ، ص ١٣٧ .

(٦) شكيب راشد عزيز ، الموصل ودورها في التصدي للغزو الصليبي (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل : ٢٠٠٢م) ، ص١٩ـ٢٠ .

(٧) للمزيد من التفاصل عن دولة عماد الدين زنكي ينظر : حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون (القاهرة : ١٩٤٨م) ، ص١٤٠ـ ١٤١.

(٨) جمال الدين الاصفهاني : هو ابو جعفر محمد بن علي الاصفهاني ، كان اول زمانه وخدمته عند الاتابك عماد الدين زنكي ويلي الاشراف على الديوان ، وكان معه من الظلم والجور ما لمير الناس مثله قط ، فلما تولى الامير سيف الدين غازي بن عماد الدين الحكم في الموصل ،عُين جمال الدين وزيراً له ، وانتقل من الشر الى الخير وادارة الدولة بحنكة سياسية ، واستبد بالامور في عهد الامير قطب الدين مودود بن عماد الدين ، حتى تم اعتقاله في عهد قطب الدين بسبب الوشاية علية وحُبس في القلعة ، عاماً كاملاً حتى توفي في سنة ٥٥٩هـ/١١٦٢م ، اثر مرض الم به ، فدفن في الموصل ثم نقل الى المدينة المنورة من قبل اسد الدين شيركوه ، ودفن بها . للمزيد من التفاصيل ينظر : الفارقي ، تاريخ آمد وميفارقين ، ص٢٨٠ .

(٩) احمد بن يوسف بن علي الفارقي ، تاريخ آمد وميفارقين ، تحقيق : سهيل زكار (دمشق : ١٩٩٥م) ، ص ٢٨٠ .

(١٠) صلاح الدين الياغستاني : هو احد امراء عماد الدين زنكي تولى منصب الحاجب ، واخلص في خدمة الدولة الزنكية ، إذ حصل على ثقة عماد الدين الذي ولاه منصب كبير القادة ، توفي في سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م . ينظر : ابي يعلي حمزة ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق (بيروت : ١٩٠٨م) ، ص ٢١٧، ٢٤٧ .

(١١) سعيد الديوجي ، تاريخ الموصل (بغداد : ١٩٨٢م) :٢٨٦/١ .

(١٢) رين الدين علي كوجك : هو احد امراء عماد الدين زنكي ، ولد بعد سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م ، واقطعه زنكي مدينة اربل في سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م ، ثم عينه نائباً عنه في الموصل سنة٥٣٩هـ/١١٤٤م ، وظل كوجك في خدمة الدولة الزنكية حتى وفاته سنة٥٦٣هـ/١١٦٨م . ينظر ابن القلانسي ، ذيل ، ص٢٨٢ .

(١٣) عز الدين الدبيسي : احد كبار امراء عماد الدين زنكي ومن ذوي الراي عنده ، وعندما تولى الحكم الامير سيف الدين غازي منحة جزيرة ابن عمر اقطاعاً له ، وخلال مسيره اليها التقى بوفد حامية الرها الذي طلبه لمساعدة جيش الموصل ، توفي سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م . ينظر : عز الدين ابو الحسن بن ابي الكرم بن على بن محمد المعروف

بابن الاثير ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، تحقيق : عبد القادر احمد طليمات (القاهرة : ١٩٦٣م) ، ص٧٦، ٨٦ .

(١٤) نفسه ، ص٩٤ ؛ يوسف بن عثمان قزاوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان (حيدر اباد :١٩٥١م) : ٢٠٤/٨ .

(١٥) ابي الفرج غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، باعتناء الاب انطوان صالحاني (بيروت : ١٩٥٨م) ، ص ٢٠٧ ؛ أبو شامة ، الروضتين : ١/ ١٧٢ .

(١٦) عزيز ، الموصل ، ص ٧٧ـ٧٨ .

(١٧) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٩٧ .

(١٨) آبن واصل ، مفرج الكروب : ١/ ١٢٠ ؛ ابو شامة ، الروضتين :١٧٤/١ .

(١٩) سليمان الصائغ ، تاريخ الموصل (بيروت : ١٩٢٨م) :١ / ٨٧ .

(٢٠) الفارقي ، تاريخ آمد وميافارقين ، ص٢٨٠ .

(٢١) مملكة ارمينية الصغرى : تقع في جنوب شرقي اسيا الصغرى بين جبال طوروس والبحر الابيض المتوسط ، وتكاد حدودها ان تكون طبيعية فيحدها من الشرق جبال الامانوس من جهتي الشمال والغرب جبال طوروس ، ومن الجنوب البحر الابيض المتوسط ، وتمتد سواحلها من مدينة طرسوس الى الاسكندرونة ، وتبلغ مساحتها ٤٠٠٠٠كم٢ بطول٤٠٠كم من الشرق الىالغرب، وبعرض ١٠٠كم من الشمال الى الجنوب ، ومن اشهر مدنها العاصمة سيس وطرسوس واياسومرسين والمصيصة ومرعش وعينتاب وزينون وهاجين وادنة . للمزيد من التفاصيل ينظر: فتحي سالم اللهيبي ، مملكة ارمينية الصغرى (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة الموصل : ٢٠٠٠م) ، ص ٢١ ؛ مروان المدور ، الارمن عبر التاريخ (بيروت : ١٩٨٢م) ، ص ٢٢٣ ؛ ك استارجيان ، تاريخ الامة الارمينية ، الموصل : ١٩٥١م) ، ص ٢٠٣ .

(٢٢) سولوفيوف واخرون جغرافية الاتحاد السوفيتي ، موسكو : ١٩٨٤م) ، ص ١٧٥ ؛ سروييف ، جغرافية الاتحاد السوفيتي (موسكو : د. ت.) ، ص٢٥٤ ؛ مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية (بيروت : د. ت.):١٧/٨ .

Minorsky, Enc. Of Islam, (Art: Al Kurdj): 5/486.

(٢٣)*The Cambridge Medieval History (Cambridge :1966) : 6/ 594*

(٢٤) ميخائيلوف ،في ربوع الاتحاد السوفيتي (موسكو : ١٩٧٤ م) ، ٣٣٤ .

(٢٥) جي بي كول ، جغرافية الاتحاد السوفيتي ، ترجمة : وفيق الخشاب (الموصل : ١٩٩١م) ، ص٣٠٢ ؛ سروييف ، جغرافية الاتحاد السوفيتي ، ص ٢٥٤ .

(٢٦) الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية : ١٧/٨ .

(٢٧) شاكر مصطفى ، دولة بني العباس (الكويت : ١٩٧٤م) :٢/ ٤٨٩ ؛

L. Brehier , The Life And Death Of Byzantium (New York : 1977) : 5/91 .

(٢٨) استارجيان ، تاريخ الامة الارمينية ، ص١٧٠-١٧١ ؛ بول اميل تاريخ ارمينيا ، ترجمة : شكري علاوي (بيروت : د. ت.) ، ص٢٤ .

(٢٩) احمد عبد الكريم سليمان ، المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط (القاهرة :١٩٨٢) :١ /٢٢٢ .

(٣٠) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (بيروت : ١٩٦٦م) : ٢٨٧/١١ ؛ زين الدين عمر المعروف بابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، تحقيق : احمد رفعت (بيروت : ١٩٧٠م) : ١٠٠/٢ ؛ عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي ، تاريخ ابن خلدون (بيروت ، ١٩٧٩م) :٨٠/٥ ؛

; The Cambridge Medieval History: 6/ 594.

(٣١)*C. E. Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran (Cambridge : 1975) : 5/179 .*

(٣٢)الكرج : جيل من الناس يقال لهم في الكفار الكرج وفي المسلمين الكرد ، وبهذا فانهم والاكراد من اصل واحد . ينظر : القلقشندي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط٢ (بيروت : ١٩٨٢ م) ، ص ٣١ .

(٣٣) الفارقي ، تاريخ آمد وميفارقين ، ص٢٨١ .

(٣٤) تفليس : مدينة حصينة لا اسلام ورائها بنتاها كسرى انوشروان ملك الفرس وحصنها بعده اسحق بن اسماعيل مولى بني امية ، وتقع على نهر الرس [اراكس] الذي يشطرها الى نصفين ، اما سكانها فهم خليط من النصارى والمسلمين . ينظر : ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد القرماني ، اخبار الدول وآثار الاول (بيروت : د. ت.) ، ص٤٠٠ .

(٣٥) الفارقي ، تاريخ آمد وميفارقين ، ص ٢٨٠ .

(٣٦) خلاط : مدينة مشهورة تقع في ارمينيا الكبرى ، ذات خيرات واسعة وثمار يانعة وهي من فتوح عياض بن غنم سار من الجزيرة إليها فصالحه بطريقها على الجزية ومال يؤديه ورجع عياض إلى الجزيرة وهي قصبة أرمينية الوسطى اغلب سكانها من الارمن وفيها مسلمين ، وتشتهر بكثرة فواكهها والمياه الغزيرة ، وببردها في الشتاء يضرب المثل ولها البحيرة التي ليس لها في الدنيا نظير . ينظر : ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، معجم البلدان ، تحقيق : حسن حبشي (بيروت : د/ ت) : ١/ ١٥٠ ، ٣٨٠/٢-٣٨١ .

(٣٧) أرزن الروم : مدينة كبيرة من اعمال ارمينيا الكبرى قرب خلاط بينها وبين تفليس عاصمة جورجيا ثلاثة ايام . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ١/ ١٥٠ ، ٢٤٥ ؛ ٤ / ٥٠ .

(٣٨) ارزن : بلدة من اعمال بلاد الجزيرة مواجهة لبلاد الروم ، وانشأ الامبراطور قسطنطين باباً نقش عليه اسمه واسم امه هيلانة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٥ / ٢٣٧ .

(٣٩) سرماري : سرماري أو سرمارى قلعة عظيمة ومشهورة وولاية واسعة بين تفليس وخلاط . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٣ / ٢١٥ .

(٤٠) نهر أراكس : يطلق عليه في مصادر التاريخ الاسلامي وكتب الجغرافية اسم نهر الرس ، وهو نهر عظيم يصب في بحر قزوين ، وتقع عليه مدينة تفليس العاصمو الجورجية . ينظر : القلقشندي ، صبح الاعشى : ٤/ ٤٠٢ .

(٤١) آني : بنيت مدينة آني في عهد الملك اشوط الثالث (٩٥٢-٩٧٧م) واصبحت مقر ملكه واصبحت درة الشرق وحاضرة الارمن . ينظر : سترك ، مادة ارمينية ، دائرة المعارف الإسلامية ، م ١ ، ص ٦٤٧ .

(٤٢) ابن العبري ، تاريخ الزمـان ، تاريخ الزمان ، ترجمة : اسحق أرملة (بيروت ، ١٩٩١م) ، ص ١٧٤ ؛

V.Minorsky, Studies in Caucasian History (London: 1953), P. 90

(٤٣) ابن القلانسي ، ذيل ، ص٢٨١ .

(٤٤) *Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 90.*

(٤٥) إذ أنه وقع في اسر الجورجيين في سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م وتم اطلاق سراحة في السنة ذاتها ، بعد ان اقسم للملك جورج الثالث بانه لن يشهر السيف بوجهه او بوجه ابناءه ما دام حياً . ينظر : ابن الاثير ، الكامل :٢٨٠/١١ ؛ اديب سيد ، ارمينية في التاريخ العربي (حلب : ١٩٧٢م) ، ص ٢٨١ ؛

Minorsky, Studies in Caucasian, P.90

(٤٦) *Minorsky , Studies In Caucasian , P.90 ; Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran: 5/ 179.*

(٤٧) الفارقي ، تاريخ آمد وميفارقين ، ص ٢٨١ .

(٤٨) *Minorsky , Studies In Caucasian History, P. 91.*

(٤٩) *Studies In Caucasian History, P. 92.*

(٥٠) تاريخ الزمان ، ص١٧٤ .

(٥١)*Studies In Caucasian History, P. 92.*

(٥٢) ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص١٧٥ ؛

Minorsky , Studies In Caucasian History, P. 92 .

(٥٣) جان موريس فييه ، الاثار المسيحية في الموصل ، ترجمة : نجيب قاقو (بغداد : ٢٠٠٠م) ، ص٤٨ .